

محتويات العدد

١ - أبحاث لغوية

* "إن" الشرطية في القرآن الكريم

7..... الدكتور زيان أحمد الخاج إبراهيم

* أثر العربية في الألفاظ العربية

42..... الدكتور حسن أحمد نقي سعيد

* الكتابة بين السريانية والعربية

53..... الدكتور محمد علي الزركان

* الاشتقاق الإبداعي وأهميته في وطع المصطلح العربي

77..... الدكتور محمود محمد سمارة

* نظرية جديدة في دراسة بنية اللسان العربي / القسم الثاني: طريقة جديدة في دراسة الحوالمعربي

91..... الدكتور جعفر ذك الباب

٢ - أبحاث ودراسات في التعريب والترجمة والمصطلح

* العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة

105..... الدكتور علي القاسمي

* بيت الحكمة مهد العصر الذهبي للترجمة

113..... الأستاذ أحمد الشاوي بعد الله

* منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي وتوحيد

127..... الأستاذ جواد حسني سماعة

* أهمية معاجم المعاني في استنباط المصطلح العلمي

141..... الدكتور سيد خليفة الأسود

* مشروع منهجية خاصة بتعريب المصطلح الطبي

154..... الأستاذ إدريس بن الحسن العلمي

٣ مشاريع معجمية

* المعجم الموسوعي للمعرب والدخيل في اللغة العربية (2)

167..... الدكتور مناد مهدي الموسوي

* معجم علم وتربية الغذاء (3)

173..... الدكتور حسين عثمان

* معجم مصطلحات علوم البيئة (5)

191..... الدكتور فاضل حسر أحمد

متابعات ثقافية

200..... * إصدار جديد: الترجمة الإنجليزية العربية والعربية الإنجليزية: دليل عملي

201..... * الندوة الأولى حول تعريب التعليم الهندسي

203..... * ندوة اللغة العربية واللسانيات

V - Researches and Studies / Recherches et Etudes

- أبحاث ودراسات بلغات أجنبية

* Word Order in the Arabic Basic Structures - An Information Approach

Mazen Al-Waer Ph.D. 3

* A Linguistic Study of the Adequacy of Arabic Orthography

Wajih H.Abderrahman Ph.D. 31

* Language Learning and Linguistic Change

Abdullah Hamad Ph. D. 39

* Translation - A Problem

Hassan S.Karmi Pr. 43

* Semantic Aspect of Medieval Arabic Lexicography

Ali M.Al-Kasimi Ph. D. 47

* Un Essai de Théorisation sur l'imitation de l'Accent Parisien chez la Femme Tunisienne

Dr. Mahmoud Dhoudi 57

* Modèles Formels de Brachygraphie gigogne: - Le Cas de l'Arabe

Pr. Benmoumen Elhadj 76

النص على أن الإبدال في أصوات الحروف الأعجمية التي لا يماثلها أصوات عربية لازم. ولو أن هذا المعنى يفهم من خلال كلام سيبويه السابق أيضاً وإن لم ينص عليه صراحة.

أما الخفاحي فلا يختلف بشيء عن سابقه في هذا الموضوع فقد ذكر "أن العرب يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً وربما أبدعوا الإبدال في مثل هذه الحروف وهو لازم لتلا بدخل في كلامهم ما ليس منه" (6).

ونستنتج من أقوال اللغويين في إبدال الأصوات الأعجمية ما يأتي:

- 1 - إن إبدال الحروف التي لا يوجد لها نظير في العربية واجب في الألفاظ المعربة.
- 2 - يبدل الحرف الأعجمي بأخر عربي أقرب من غيره إليه من حيث المخرج غالباً.
- 3 - لم يكن مراعاة القرب المخرجي مطرداً في كل الحروف، لأن العرب أحازوا الإبدال بين الأصوات المتباعدة المخرج.
- 4 - لم يلاحظ اللغويون العرب في الإبدال التقارب في صفات الحروف ولعلهم قد غفلوا عن هذه الناحية وهذا ما سنناقشه فيما بعد.

وبناء على ما تقدم غير العرب الحروف التي بين "الجيم والكاف وربما جعلوه جيماً وربما جعلوه كافاً وربما جعلوه قافاً لقرب القاف من الكاف... وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاءً وربما أبدلوه ياءً" (7) وهذا الشيء نفسه فعلوه في حروف (ص، الضاء) وغيرها.

أما التغيير الذي حدث في أصوات الحروف التي

يوجد نظير لها في العربية فهو أمثال التغيير الذي حدث في حرف الشين في الكلمة الفارسية (دشت) التي تعني الصحراء إلى سين فعربوها إلى (دست) (8). أو في قلبهم الظاء طاء كما صرح بذلك الأصمعي في قوله إن "العرب تجعل الظاء طاءً ألا تراهم سموا الناظر ناظراً أي ينظر" (9). إلى غير ذلك من الحروف الكثيرة التي غيرها العرب في أثناء التعريب.

وقد قسم بعض اللغويين الإبدال في الحروف عند التعريب إلى قسمين بعد ملاحظة إطاره أو عدمه. وهما:

1 - إبدال مطرد وهو الحاصل في الحروف التي لا يوجد لها ما يماثلها في العربية فقد ذكر السيوطي أن "البدل المطرد هو في كل حرف ليس من حروفهم كقولهم كرج، الكاف فيه بدل من حرف بين الكاف والجيم فأبدلوا فيه الكاف، أو القاف نحو قريب، أو الجيم نحو جورب، وكذلك فرند هو بين الباء والفاء فمرة تبدل منها الباء ومرة تبدل منها الفاء" (10).

وإذا كان العرب القدماء قد جعلوا إبدال الحروف الأعجمية مطرداً عند التعريب فإنهم لم يعتنوا حرفاً واحداً لكل صوت معرب وإنما جعلوا له أكثر من صوت ومن دون أن يضعوا لنا قاعدة واضحة نسترشد بها في عملنا الحاضر في التعريب.

وإن عدم تحديد الصوت المقابل للأعجمي بدقة لم يقتصر على تعريب المفردات الفارسية وإنما يشمل كل اللغات التي عربت فيها مفردات تحوي حروفاً غريبة عن اللسان العربي. ولعل من الأمثلة المناسبة في ذلك ما حدث في الألفاظ اليونانية، فالحرف "chi" اليوناني الذي يلفظه المعاصرون كالحاء أو بما يشبه الشين على حسب موقعه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الأستاذ حسن محمد تقي سعيد في ذمة الله

بوفاء المغفور له الأستاذ حسن محمد تقي سعيد فقدت الأوساط الثقافية عالماً جليلاً شارك بأبحاثه القيمة في إغناء مجلة (اللسان العربي).
وبهذه المناسبة الأليمة تقدم هيئة تحرير مجلة (اللسان العربي) خالص عزائهم إلى أسرة الفقيد والنوسط الثقافي العربي راجية من العلي القدير أن يتغمده برحمته الواسعة وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان.

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

"إن" الشرطية في القرآن الكريم

الدكتور زيان أحمد الحاج إبراهيم

جامعة البحرين - كلية الآداب

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

تقديم:

أسلوب الشرط أحد الأساليب الأصلية في اللغة العربية، يبرز في حلل متباينة ذات ألوان وتشكيلات متعددة، نكاد لأجدها بوفرة إلا عند أرباب الأقلام الثرة، المتمرسين في ضروب القول، وأصحاب البيان من الأدباء، شعراء وناثرين، بغرض التأثير في مرديهم من قراء ومستمعين، ودفع السأم والملل عنهم، بالخروج عن الرتابة التي قد تنفر منها النفس ويمحها الذوق، بالقدر الذي تتفاوت فيه قدراتهم في التعبير عن أفكارهم ونقلها إلى الآخرين.

وموضوع الشرط أمر شغل بال النحاة في الماضي والحاضر، فتوفروا على دراسته في مصادره الأصلية من أقوال العرب شعراً ونثراً. وأبرز الدراسات التي نالت الخطوة في هذا المضمار. تلك الواردة في الكتاب المعجز، السهل الممتنع، الذي تحدى صنّاع الكلام ومهندسي البيان، ألا وهو القرآن.

لقد حظيت الأساليب العربية المختلفة بدراسات كثيرة، شأنها شأن غيرها من العلوم، ولكن أسلوب الشرط استأثر بالنصيب الأوفى منها، لا لشيء، إلا لتعدد أدواته من جهة، وتنوع الصور التي يجيء عليها ويتشكل فيها، من جهة ثانية.

كان الخليل وسيبويه - رحمهما الله - رائدين في هذا

المضمار، تواترت بعدهما الجهود في دراسة علم النحو، بأساليبه المختلفة، ومنها أسلوب الشرط.

كما تناول قدامى النحاة - بعدهما - أسلوب الشرط في دراسة مستوعبة، ولكنها متفرقة هنا وهناك في كثير من الأحيان، فجاءت معلوماتهم عنه أشتاتاً، كما اختلفت مواقفهم أحياناً من مفهومهم لأسلوب الشرط، حيث نظر إليه بعضهم على أنه جملة مركبة، واعتبره فريق منهم جملتين، واعتمد طرف آخر في دراسته على العامل، الذي هو الأداة. كما اختلفوا في استخدام المصطلح الشرطي فتعددت مدلولاته، فانسحب هذا الاختلاف على الدراسات اللغوية الحديثة (1).

إن جل هذه الدراسات، في عصورها المتعاقبة، انصبّت على دراسة الجملة الشرطية من حيث المعنى، عن طريق تحليلها إلى ركنيها: "الشرط والجواب" (2).

ثم جاءت بعض الدراسات الحديثة المتخصصة فعرضت لدراسة أسلوب الشرط في القرآن الكريم وكلام العرب، كما نجد ذلك عند الدكتور أحمد اللهيب (3)، وعبد العزيز علي الصالح المعيد (4)، وإبراهيم بركات (5)، وأبي أوس إبراهيم سليمان الرشيد الشمسان الذي درس الجملة الشرطية منذ سيبويه، أي منذ مرحلة التكوين (6)، حتى مرحلة الاستواء والنضج (7)، ثم مرحلة التفسير والتقليد (8).

ومن هذه الدراسات ، دراسة متميزة بعنوان " الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية " قام بها الدكتور عبد السلام المسدي، وزميله الدكتور محمد الهادي الضرابلسي. وقد جاءت هذه الدراسة في قسمين: **أحدهما** : عرضاً لدراسة مظاهر بنية التركيب الشرطي اعتماداً على نظريات النحاة، كما استقرت وتبلورت عندهم تمثيلة في شرح ابن يعيش للمفصل، ونظرة ابن هشام في المغني له، مستقرئين النص القرآني قاعدة له (9). **وثانيهما**: اعتمد الدراسة الوظيفية للنصوص الشرطية الواردة في القرآن الكريم (10). وقد حظيت "إن" الشرطية في هذه الدراسة بنصيب وافر عند الأخوين الباحثين، فتمحضها لمعنى الشرط وملازمتها إياه، من جهة؛ ولاطراد التركيب الشرطي بها، من جهة ثانية، بدليل أن نسبة تواترها في النص القرآني بلغت - عندهما - 41,47% (11) من مجموع أدوات الشرط الأخرى، فضلاً عن أن بعض أدوات الشرط إنما اكتسب هذه الخاصية لتضمنها معنى "إن" الشرطية؛ يضاف إلى ذلك مرونة التركيب الشرطي بها، إذ تشكل في صور متنوعة، كونت هذه الصور غالبية موضوع هذا البحث (11).

ومن هنا حاولت أن أُلْم شعث أسلوب الشرط الخاص بالأداة "إن"، وأجمع أشداته في بحث متكامل، معتمداً في ذلك على أفصح الأساليب العربية، وهو القرآن الكريم. ورأيت من الجدوى إمكان، ألا تنصب هذه الدراسة على النظرة نحوية البحتة، كما اقتضت الدراسات الأخرى، بل حاولت جاهداً ربطها بالظواهر الأسلوبية، وتبسيط الضوء على اللمحات البلاغية باستخدام "إن" في صورها الشرطية المختلفة، والكشف عن أكثر هذه الأساليب

توظيفاً لأغراضها البلاغية، وأوسعها انتشاراً في كلام العرب والعصر الحديث.

وسأحاول الإشارة، من وجهة نظري الخاصة، إلى سبب الخلط بين "إن" و"إذا" في الاستعمال، وطغيان "إذا" على أم الباب: الأمر الذي يوحي بأن "إن" قد تراجعت عن رتبها ومنزلتها "كأم"، وكأنها قد أصبحت في منأى عن الاستعمال إلى حد ما.

وكم كان يؤدّي معرفة مدى ارتباط القوالب الشرطية "إن" بتطور اللغة العربية، ومدى احتفاظ هذه القوالب القرآنية الشرطية الأصيلة (لأم حروف الجزاء) بنفس درجة الفاعلية عند أصحاب الأقلام العربية في مختلف العصور، وأثر هذا الاستعمال في تطويع المعيار حسب الزمن والتاريخ، ولكن تبدّى لي أن هذه المهمة تحتاج إلى دراسة مستقصية مستفيضة، لا يتسع لها هذا المقام.

نبذة عن "إن"، بكسر الهمزة وسكون النون

الشرط أحد الأساليب الشائعة في اللغة العربية، يأتي على صور متعددة، أغلبها فصيح، وأرقاها وأفضحها تلك الأساليب التي جاءت في القرآن الكريم، كما أن استعماله لا يخلو من دلالات جمالية تكشف عنها القرائن.

وأسلوب الشرط لا بد له من جملتين (12): تسمى الأولى الجملة الشرطية، والثانية جملة الجزاء، أو الجواب. وتجب الفعلية في الأولى؛ أما الثانية فحقها أن تكون فعلية، وقد تكون اسمية (13). وسمي الفعل الأول شرطاً، والثاني جزاءً، لإتيان الأول في صورة المسبب، والثاني في صورة المسبب (14).

ومهما كانت صيغة فعل الشرط وجوابه، فإن زمنهما لا بد أن يتخلص للمستقبل المحض؛ ولا بد أيضاً، أن يكون

تحقق الجواب ووقعه متوقفا على تحقق الشرط ووقعه، ومعلقا عليه، فإذا وقع الشرط، وقع ما تعلق عليه، وهو الجواب.

والذي يُدخل هاتين الجملتين في عداد أسلوب الشرط، هو الأداة التي تسبقهما.

وأدوات الشرط منها ما هو جازم، ومنها ما هو غير جازم، ومنها ما هو حرف، ومنها ما هو اسم.

وأولى أدوات الجزم "إن" بكسر الهمزة وسكون النون، وهي حرف باتفاق.

و"إن" بهذه الصيغة تأتي لبعض الأغراض غير الجزم، نوجزها فيما يلي:

1 - أن تكون نافية، عاملة أو مهملة (15)، وتدخل على الجملة الاسمية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (16)، وقوله ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (17). وقد تدخل على الأفعال فلا تؤثر فيها، كقوله تعالى: ﴿بَلْ إِنَّ يَعْدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (18). وقد وردت في القرآن الكريم حوالي [115] مائة وخمس عشرة مرة (19).

2 - أن تكون مخففة من الثقيلة: فيجوز إهمالها، وهو كثير في لسان العرب، وحينئذ تلزمها اللام الفارقة بينها وبين "إن" النافية (20)، فنقول: إن زيدا لذهبا، وإن عمرو لخير منك. وقد جاءت في القرآن الكريم حوالي [25] خمسا وعشرين مرة.

أما إعمالها فقليل (21)، وإذا أعملت لم تلزمها اللام، لأنها لا تلتبس، حينئذ؛ بالنافية، فنقول: إن زيدا منطلق.

ودخولها، مخففة، على غير نواسخ الابتداء من الأفعال، قليل جدا، كقول عاتكة بنت زيد ترثي زوجها الزبير بن العوام، رضي الله عنه، وتدعو على قاتله:

شَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا

حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ (22)

3 - أن تكون زائدة: وتسمى الوصلية، لأنها تصل الكلام بعضه ببعض لتقوية معناه وتوكيده (23). ومن أبرز خصائصها أن تبطل عمل «ما» الحجازية، فتدخل على الجملة الاسمية، كقول فروة بن مسيك:

فَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنَ، وَلَكِنْ

مَنَائِنَا وَذَوْلَةُ آخِرِنَا

وقد تدخل على الجملة الفعلية، كقول الشاعر:

مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ

إِذَنْ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي

وقد تزداد بعد "ما" الموصولة الاسمية، كقول جابر بن رألان الطائي الجاهلي:

يُرَجِّي الْمَرْءُ مَا إِنْ لَا يَرَاهُ

وَتَعْرِضُ ذُونُ أَذْنَاهُ الْخُطُوبُ

أي: الذي لا يراه؛ أو "ما" المصدرية، كقول المعلوط القريني:

وَرَجَّ الْفَتَى لِلْخَيْرِ مَا إِنْ رَأَيْتَهُ

على السن خيرا لا يزال يزيد (24)

أو "ألا" الاستفتاحية؛ كقول الشاعر:

أَلَا إِنْ سَرَى لَيْلِي فَبِتْ كَيْبًا

أَحَازِرُ أَنْ تَنَائِي النَّوَى بِغَضُوبَا

وقد تزداد في مواضع نادرة الدوران.

4 - أن تكون فعل أمر من آن يئن، فنقول: إن يا وقت.

ويقال: آن يئن، بمنزلة سار يسير، و"إن" بمنزلة سير (25).

5 - قد تكون شرطية غير جازمة، وهي قليلة في فصيح

الكلام، وتسمى "إن" التفصيلية (26)، ومثالها: من يزرع.

إِنْ خَيْرًا وَإِنْ شَرًّا، يَحْصِدُ مَا زَرَعَ، فليس لها من الشرط إلا الاسم، لأنها غير جازمة ولا عاملة، وتفيد التفصيل ليس غير.

إِنْ الشرطية

كان الخليل يرى أنها أم حروف الجزاء، وعندما سأله سبويه عن سر ذلك، أجابه بأن باقي حروف الجزاء قد يتصرفن فيكن استفهاما أحيانا (27)، ومنها ما تفارقه "ما" فلا يكون فيه الجزاء (28)، على حين تلازم "إِنْ" حالا واحدة أبدا، لاتفارق الجزاء (29).

وقد أشار علماء النحو إلى بعض الأمور التي وافقت فيها "إِنْ"، أو فارقت أخواتها من أدوات الشرط، نلخصها فيما يلي:

أمور توافقت فيها "إِنْ" باقي أدوات الشرط

1 - لا تدخل على الاسم، وتحتاج إما إلى فعلين مضارعين تجزمهما لفظا، إن كانا معربين، أو محلا، إن كانا مبنيين.

- وإما إلى فعلين ماضيين يجزمان محلا.

- وإما إلى فعلين مختلفين، يجزم المضارع منهما لفظا، والماضي محلا.

- وإما إلى جملة اسمية تحل محل المضارع الثاني، وتكون في محل جزم.

2 - إذا وقع بعدها اسم، وهو الغالب في "إِنْ" و "إذا" وجب تقدير فعل مناسب يفصل بينهما، كقوله تعالى:

﴿إِنْ أَمْرُو هَٰلِكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (30) و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (31). والتقدير: إن هلك امرؤ هلك، وإذا

انشقت السماء انشقت، كما سئرى.

3 - لها الصدارة، فلا يصح أن يتقدم عليها شيء من

جملتي الشرط أو الجواب، ولا متعلقتهما، إلا إذا كان جواب الشرط مضارعا مرفوعا، كما يجيء أحيانا، كقولك: خيرا إن تزرع تحصد، برفع (تحصد).

4 - لا يصح حذفها.

5 - لا تدخل على "لا" الناهية، فإذا دخلت عليها صارت حرف نفي، بعد أن كانت حرف نهي، وصارت مهملة بعد أن كانت جازمة (32).

أمور فارقت فيها "إِنْ" أخواتها

1 - هي و "إذا" حرفان، وأخواتهما أسماء.

2 - يجوز فيها الجزم وعدمه إذا اتصلت "بما" الزائدة، على حين أن بعض أخواتها لا يجزم إلا إذا اتصل "بما" الزائدة، مثل: حيث، وإذا، وبعضها يمتنع اتصالها بها، وهو شرط جازم.

3 - من هذه الأدوات ما وضع للعاقل، فإذا تضمن معنى الشرط، صار أداة شرط، للعاقل، جازمة، وهو "مَنْ"، كقوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (33).

4 - منها ما وضع أصلا للدلالة على شيء لا يعقل، فإذا تضمن معنى الشرط، صار أداة شرط، للعاقل، جازمة، وهو "ما" و "مهما". قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تُجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ (34)، وقول زهير:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ

وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

5 - منها ما هو للزمان المجرد في أصل وضعه، فإذا تضمن معنى الشرط جزم، وهو: متى، وأيان.

6 - منها ما وضع أصلا للمكان، وصار أداة شرط جازمة

إذا تضمن معنى الشرط، وهو: أين، وحيثما، وأنى.

7 - منها ما يصلح لكل ما ذكر، وهو "أي".

8 - منها ما يختص إما بالأمر المتيقن، أو المظنون، وهو "إذا"، وإما بالمشكوك فيه، أو المستحيل، وهو باقي أدوات الشرط، والقرائن هي التي تعين ذلك.

9 - منها ما وضع لتعليق الجواب على الشرط بقصد الدلالة على وقوع الجواب وتحقيقه، بوقوع الشرط وتحقيقه، من غير دلالة على زمان، أو مكان، أو عاقل، أو غير عاقل، وهو "إن" و "إذا"، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَّوْهُ يُخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (35)،

وقول الشاعر:

وإنك إذ ما تأت ما أنت أمر

به، تُلَفِّ مِنْ إِيَّاهُ تَأْمُرُ آتِيَا

* * *

وسنشرح في الحديث عن "إن" الشرطية بالتفصيل من حيث خصائصها الأسلوبية التي تحمل دلالات بلاغية رائعة.

لقد وردت "إن" الشرطية في القرآن الكريم حوالي [571] إحدى وسبعين وخمسمائة مرة، مدغمة في "لا" خمس مرات، وفي "ما" ست عشرة مرة، ولها أحكام نحوية لم تسلم من خلاف في بعضها بين النحاة.

اختصت "إن" الشرطية بجواز أن يقع بعدها الاسم المرفوع الذي بعده فعل يفسر ذلك المحذوف في الاختيار. أما غير "إن" فلا يقع ذلك فيه إلا في الشعر (36). أي من بين الأدوات الجازمة، وذلك لوقوعه بعد "إذا" و "لو".

وقد ورد ذلك في القرآن خمس مرات في قوله تعالى:

- ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ (37).

- ﴿وَإِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ (38).

- ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ (39).

- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (40).

- ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (41).

فالرفع في الآيات بعد "إن" بإضمار فعل يفسره ما بعده.

وقال الكوفيون: هو مبتدأ، وما بعده الخبر.

وقد خطأه العكبري، لأن حرف الشرط لا معنى له في الاسم، فهو مناقض للفعل، ولذلك جاء الفعل بعد الاسم مجزوما في قول عدي:

ومتى واغل يُنبههم يُحيو

هُ ، وَتُعْطَفُ عَلَيْهِ كَأْسُ السَّاقِي (42)

وقد جاء هذا الاستعمال - أعني وقوع الاسم بعدها - مع "إذا" و "لو" الشرطيتين.

فقد وردت "إذا" في القرآن الكريم 423 مرة، كانت في 43 منها فجائية، وفي الباقي شرطية. ومن هذه الشرطية، وقع الاسم المرفوع بعدها 23 مرة، منها 12 مرة في سورة التكوين وحدها؛ وتلاها الفعل في باقي المرات، أي 380، كان فيها مضارعا نادرا، وماضيا مطردا.

أما "لو" فقد جاءت في القرآن الكريم 201 مرة، وقع الاسم الصريح المرفوع بعدها في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا

لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴿(43)﴾؛
ووقع غير صريح 30 مرة، وتلاها الفعل إما ماضيا أو
مضارعا في الباقي، أي 170 مرة(44).

وتستعمل "إن" للشك ولعدم القطع في الأشياء الجائز
وقوعها وعدم وقوعها، فمخرجها الظن والتوقع فيما
يخير به المخير، بخلاف "إذا" التي تحيى وقتا معلوما. فلو
قلت : آتيك إذا احمر البسر، كان حسنا، ولو قلت :
آتيك إن احمر البسر، كان قبيحا، لأنه واقع لا شالة،
"فإن" أبدا مبهمة (45).

الأصل في "إن" أن تحزم فعلين مضارعين: أحدهما
الشرط، والثاني الجزاء، وهو الكثير؛ مثل : ﴿وَإِنْ
يَأْتَوْكُمْ أَسَارَى تَفَادَوْهُمْ﴾(46)، و﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي
صُدُورِكُمْ أَوْ يُبْدَوْهُ يَعْلمَهُ اللَّهُ﴾(47)، و﴿وَإِنْ تَعُودُوا
نَعُدْ﴾(48).

وقد تدخل على ماضيين لفظا، مستقبلين معنى، فلا تؤثر
فيهما لبنائهما، كقوله تعالى : ﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ
قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ شَهِيدًا﴾(49)،
وقوله : ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾(50)، وقوله :
﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾(51). فالماضي في هذه الآيات في
موضع الجزم، وعلى معنى الاستقبال.

ودخلها على الماضي والمضارع في الكلام قليل، ولم يرد
في القرآن منه شيء، فيبقى الماضي مبنيا، أما المضارع فقد
قال أكثر النحويين إنه يكون مرفوعا، فلا تؤثر فيه، إذ لم
تؤثر في الذي يليها، واستشهدوا على ذلك بقول زهير :

وإن أتاه حليل يوم مسألة

يقول : لا غائب مالي ولا حرم

يرفع (يقول). والمقام لا يقتضي الخوض في الخلافات
والآراء الواردة في الموضوع.

وأقل منه دخولها على المضارع والماضي في الكلام،
فتعمل في الأول لأنه مضارع، ولا تعمل في الثاني لبنائه،
مستشهدين على ذلك بقول أبي زيد الطائي :

مَنْ يَلِدْنِي بَسِيَّاءٍ كُنْتُ مِنْهُ

كالشجاء بين خلقه والوريد

ولم يرد منه شيء في القرآن الكريم، وجعلوا منه قوله
تعالى (52) : ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (53) ، إذ جاء الماضي معطوفا
على جواب الشرط المضارع المجزوم.

وقد يكون الشرط ماضيا، والجواب فعل أمر، وهو كثير،
ولقوله تعالى : ﴿فَإِنْ قَاتَلْتُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ (54)، و﴿فَإِنْ
كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ (55). ولا بد من
اقتزانه بالفاء، كما سيأتي.

كما تدخل على الفعل المضارع المسبوق بسم، والجواب
فعل أمر، كقوله تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا،
فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (56)، و﴿فَإِنْ
لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (57).

ولا تدخل على فعل ماض في المعنى إلا على (كان) لكثرة
استعمالها، وأنها لا تدل على حدث (58)، وقد تنوع
الشرط والجواب مع الفعل الناسخ (كان) :

الشرط والجواب ماضيان :

— ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ
وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْذِ عَلَيْكُمْ
وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (59).

الشرط ماض والجواب أمر :

— ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا
بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (60).

الشرط ماض والجواب جملة اسمية:

- ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ (61).

الشرط مضارع والجواب مثله:

- ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ (62).

الشرط مضارع والجواب جملة اسمية:

- ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَلِإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ﴾ (63).

الشرط مضارع مجزوم، والجواب جملة اسمية:

- ﴿إِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٍ وَامْرَأَتَانِ﴾ (64)، أي :
فالشاهد.

وقد جاء اقتران جوابها بالفاء كثيراً مستكملاً جميع الحالات التي عرفها النحاة. فمثال ما كان فيه الجواب جملة اسمية مقترنة بالفاء، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ (65)، و﴿وَإِنْ تَخَالَطَوْهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ (66)، أي فهم إخوانكم، ومنه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (67).

ومما كان فيه الجواب جملة طلبية مقترنة بالفاء، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ (68)، و﴿إِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَمِنْ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ (69)، و﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (70)، و﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (71).

وهكذا مع باقي الحالات والمواضع التي يقرن الجواب فيها بالفاء وجوباً، وهي:

- ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَيَعِمَّا هِيَ﴾ (72) - الجواب فعل جامد.

- ﴿إِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (73) - مقترن "بما".

- ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَمْ يَضُرُّوكُمْ شَيْئًا﴾ (74) - الجواب مقترن "بلن".

- ﴿إِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ (75) - مقترن "بقَدْ".

- ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجِبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَرُوفٌ تَرَانِي﴾ (76) - مقترن "بسوف".

- ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَسْرُوعٌ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ (77). الجواب مقترن "بالسين".

هذه هي بعض خصائص أو حالات "إِنْ" التي لاخلاف فيها، يذكر، عند أهل العلم، وذلك إذا كان الشرط والجواب مذكورين، فهم يكادون يتفقون على معظم ما أوردنا.

أما الخلاف الذي دار بينهم حول "إِنْ" ففي الحالات التي حذف فيها الجواب، أو قام مقامه كلام آخر، أو دخلت "إِنْ" على استفهام، أو توسط الشرط بين "إِنْ" وما عملت فيه، أو غير ذلك، وسنعرض لأحكامها دون أن نتعرض لهذا الخلاف إلا بما يقتضيه المقام.

(1) حذف جواب الشرط مع "فَإِنْ"

كل ما جاء في القرآن من "فَإِنْ" فقد ذكر معه جواب الشرط، أو دليل الجواب قائماً مقام الجواب، إلا في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ (78)، فقد حذف الجواب ههنا، وتقديره: (فافعل).

(2) ذكر الجواب مع "أَفَإِنْ"

ذكر الجواب مع "أَفَإِنْ" في القرآن في آيتين هما:

١ - ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (80).

يرى يونس أن همزة الاستفهام دخلت في التقدير على (انقلبتم)، وهو ماضٍ، معناه الاستقبال، لأنه مقيد بالموت أو القتل، وجواب الشرط عنده محذوف، فتكون همزة الاستفهام دخلت في غير موضعها، لأن الغرض إنما هو: أنقلبون على أعقابكم إن مات محمد؟ ودخلت إن هنا على المحقق، وليس من مظانها، لأنه أُورد مورد المشكوك فيه للتردد بين الموت والقتل (81).

إلا أن سيبويه يرى الهمزة في موضعها، والفاء تدل على تعلق الشرط بما قبله؛ وقد رجّح العكيري رأي سيبويه (82).

ب - ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾؟ (83)، حيث دخلت الفاء العاطفة على "إن" الشرطية، والجملة بعدها جواب الشرط، وقدمت الهمزة عليها، لأن الاستفهام له صدر الكلام، واعترض الشرط بينهما، فحذف جوابه. هذا مذهب سيبويه.

وزعم يونس أن تلك الجملة هي مصب الاستفهام، والشرط معترض بينهما، وجوابه محذوف.

وقال ابن عطية: وألف الاستفهام داخلية في المعنى على جواب الشرط. انتهى كلامه.

وفي هذه الآية دليل لمذهب سيبويه، إذ لو كان على ما زعم يونس لكان التركيب: أفإن مت فهم الخالدون؟ بغير فاء (84).

(3) ما قام فيه دليل الجواب معها مقام الجواب

ورددت "إن" في بعض الآيات محذوفة الجواب، وقد قام دليل الجواب مقامه، في مثل:

١ - ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ (85)، فجواب الشرط محذوف، والتقدير: (فتأسوا)، فقد مسّ القوم قرح مثله، لأن الماضي معنى يمتنع أن يكون جواباً للشرط، ومن زعم أن جواب الشرط هو (فقد مسّ)، فهو ذاهل (86).

2 - ﴿إِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (87). جواب الشرط، هنا، محذوف؛ لدلالة الكلام عليه. والتقدير: (فتسلّ به)، ولا يمكن أن يكون (فقد كذب رسل) الجواب، لمضيه، إذ جواب الشرط مستقبل، لا محالة، لترتبه على المستقبل. وما قيل في مثل هذا إنه جواب الشرط، فهو على سبيل التسامح، لا الحقيقة (88).

3 - ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ (89). الجواب هنا محذوف. وتقديره: (فليشهد عليه)؛ لأن الضمير يفرد إذا عطف "أو"، فلا يتثنى. أما إذا كانت "أو" بمعنى "الواو"؛ كان الجواب: فالله أولى بهما (90).

4 - ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَصْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (91).

جاء جواب الشرط الأول بالحصر في قوله: (فلا كاشف له إلا هو) مبالغة في الاستقلال بكشفه. وجاء جواب الثاني بقوله: (فهو على كل شيء قدير) دلالة على قدرته على كل شيء. ولو قيل: إن الجواب محذوف لدلالة الأول عليه، لكان وجهاً حسناً. وتقديره: فلا موصل له إليك إلا هو، أو فلا رادّ له. وفي قوله: (فلا كاشف له إلا هو) تقديره: فلا كاشف له عنك إلا هو (92).

5 - ﴿وَإِنْ يَعُوذُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ (93). قيل: جواب الشرط: (فقد مضت سنة الأولين). قال أبو حيان: ولا يصح ذلك على ظاهره؛ بل ذلك

دليل على الجواب، والتقدير: وإن يعودوا انتقمنا منهم وأهلكناهم، فقد مضت سنة الأولين في أنا انتقمنا منهم وأهلكناهم (94).

6 - ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (95).

في الآية انتفاء النصر بأي طريق كان من نفر أو غيره. وجواب الشرط محذوف، تقديره: (فسينصره)، وبدل عليه (فقد نصره الله)، أي: ينصره في المستقبل، كما نصره في الماضي.

7 - ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ (96).

الجواب محذوف؛ وتقديره: (فافعلوا ما شئتم). وقيل: هو (فعلى الله توكلت)، و (فأجمعوا) معطوف على الجواب، وهو لا يظهر لأنه متوكل على الله دائما. وقال الأكثرون: الجواب (فأجمعوا)، و (فعلى الله توكلت) جملة اعتراضية بين الشرط وجزائه (97).

8 - ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (98).

جواب (إن تكفروا) محذوف لدلالة المعنى عليه. والتقدير: فإنما ضرر كفركم لاحق بكم، لأن الله غني حميد سواء أمتم ومن في الأرض أو كفرتم جميعا، فهو متصف بالغنى المطلق والحمد في حالتي كفرهم وشكرهم (99).

9 - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (100).

الفاء وما بعدها جواب الشرط صورة، والجواب حقيقة محذوف، أي: فأنت معذور، إذ أديت واجبك، فأقيم سبب العذر، وهو البلاغ، مقام المسبب لدلالته عليه (101).

ومثل هذا في القرآن كثير، وعلى مثل هذا التقدير، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَنتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (102)، إذ ليس اتصافه: سبحانه، بالمغفرة والرحمة، بسبب انتهائهم؛ وقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (103)، فليس علمه بالمفسدين، أو غيرهم، مرتبطا بقولهم. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ (104)، والتقدير: وإن يكذبوك فاصبر، أو فلا تجزع، أو فتسل، أو ما أشبه هذا المعنى، فقد كذبت قبلهم أقوام أخرى.

(4) دخول اللام الموطنة للقسم عليها

وسد جواب القسم مسد جواب الشرط

1 - قد تدخل على "إن" اللام الموطنة والمؤذنة بالقسم، فتشعر بقسم مقدّر قبلها، لذلك يبنى ما بعد الشرط من الجواب على القسم، لا على الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (105)، والذي يؤيد ذلك عدم دخول الفاء على "ما" التي تقتضيها، في قوله تعالى (ما لك)، وكان فعل الشرط ماضيا في اللفظ، لأن جوابه محذوف يدل عليه جواب القسم، والاستغناء بجواب القسم أولى، لأن له صدر الكلام (106).

2 - ﴿وَلَيْنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ، وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ، وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ، وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (107).

وهذه اللام ليست لازمة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (108). (ليمسن) جواب قسم محذوف، سد مسد

جواب الشرط الذي هو (وإن لم ينتهوا) (109).

وما تبعوا بمعنى (لا يتبعوا)، فهو ماضٍ في معنى المستقبل، ودخلت "ما" حملاً على لفظ الماضي، لأنه إذا كان الجواب محذوفاً، وجب مضي فعل الشرط لفظاً إلا في ضرورة الشعر، فقد يأتي مضارعاً.

وذهب الفراء إلى أن "إن" هنا بمعنى "لو"، ولذلك كانت "ما" في الجواب، فجعل (ما تبعوا) جواباً، لأن "إن" بمعنى "لو"، فكما أن "لو" تُجاب بـ"ما"، كذلك أُجيب "إن" التي بمعنى "لو".

وقد رده العكبري لأن "إن" للمستقبل و"لو" للماضي، كما رده أبو حيان، لأن الفراء بنى ذلك على مذهبه الذي يجيز فيه أن يكون الجواب للشرط مع تقدم القسم، وأن استعمال "إن" بمعنى "لو" قليل، فلا ينبغي أن يحمل على ذلك إذا ساء إقرارها على أصل وضعها.

وخلاصة ذلك أن في (ما تبعوا) قولين: إنها جواب قسم محذوف، وهو قول سيبويه. والثاني: إن ذلك جواب "إن" لإجرائها مجرى "لو"، وهو قول الأخفش، والفراء، والزجاج (110).

ودخول اللام الموطئة هذه على "إن" في القرآن كثير.

أما حذف اللام فهو قليل. ومما حذفته منه اللام قوله تعالى: ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ (111)، فجواب "إن" محذوف، لأن (لننصركم) جواب القسم المحذوف.

ومما لم تدخل فيه الفاء على "ما" التي تقتضيها، قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْطُرَ إِلَيَّ يَدُكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ (112)، فإن (ما أنا بياسط) جواب القسم لتقدم القسم، بدليل عدم اقترانه بالفاء بعد "ما" التي تقتضيها (113).

3 - ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (114).

حذفت اللام الموطئة، وحذف القسم، وسد جوابه مسد جواب الشرط الذي هو (وإن أطعتموهم)، لأن الجواب للسابق منهما، والتقدير: والله إن أطعتموهم إنكم لمشركون.

4 - ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (115). (لنكونن) جواب قسم محذوف قبل "إن"، كما حذفت اللام. والتقدير: والله إن لم تغفر لنا لنكونن من الخاسرين (116).

(5) حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه

ورد، كثيراً، حذف جواب الشرط، لدلالة كلام قبله عليه، فمن ذلك:

1 - ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ، قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (117).

التقدير: إن كنتم مؤمنين، فبئسما يأمركم به إيمانكم. وقيل: التقدير: إن كنتم مؤمنين فلا تقتلوا الأنبياء، ولا تكذبوا الرسل، ولا تكتنوا الحق، وتقدير الحذف الأول أولى وأقوى.

2 - ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (118).

أي: إن كنتم صادقين فتمنوا الموت، فعلق التمني على شرط مفقود، وهو كونهم صادقين، إذ ليسوا صادقين في أن الجنة خالصة لهم من دون الناس، فلا يقع منهم تمني الموت (119).

3 - ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ (120).

(فاستطاعوا) شرط محذوف الجواب يدل عليه ما قبله.
والتقدير: إن استطاعوا فلا يزالون يقاتلونكم. ومن جواز
تقديم جواب الشرط قال: (ولا يزالون) هو الجواب (121).

4 - ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي
أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (122).

فجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله، ويقدر من
لفظه، أي: إن كنَّ يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يحل لهن
ذلك. والمعنى: إن من اتصف بالإيمان لا يقدم على
ارتكاب ما لا يحل له، وعلق ذلك على هذا الشرط، وإن
كان الإيمان حاصلًا لهن، إيعادًا وتعظيمًا للكم (123).

5 - ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ
إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ (124).

فهذا إخبار مقيد من حيث المعنى بالشرط، وجواب
الشرط محذوف من حيث الصنعة؛ وتقديره: إن عدنا في
ملتكم فقد افترينا على الله كذبًا، وليس قوله (قد افترينا
على الله كذبًا) هو جواب الشرط إلا على مذهب من
يجوز تقديم جواب الشرط على الشرط.

وجوزوا في هذه الآية وجهين: أحدهما: أن يكون
إخبارًا مستأنفًا فيه معنى التعجب، كأنهم قالوا: ما
أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام. والثاني
أن يكون قسمًا على تقدير حذف اللام، أي: والله لقد
افترينا (125).

6 - ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِي﴾ (126).

فجواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدم عليه، وهو
قوله: ﴿لَا تَخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمَوَدَّةِ﴾ (127).

(6) دخول "إن" على "لم"

كثيرا ما يقع الفعل المضارع المحزوم "بلم" شرطًا "لإن" في
مثل قوله تعالى:

1 - ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي
قُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (128).

الجمهور على أن الجزم "بلم" لا "بإن"، لأن "لم" عامل
شديد الاتصال بمعموله، ولم يقع إلا مع الفعل المستقبل
في اللفظ، أي أنه مختص، و"إن" قد دخلت على الماضي
في اللفظ، وقد وليها الاسم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ (129)، وجواب الشرط
هو (فاتقوا).

فإن قيل: كيف دخلت "إن" على "لم"، ولا يدخل عامل
على عامل؟ فالجواب أن "إن" ههنا غير عاملة في اللفظ،
فدخلت على "لم" كما تدخل على الماضي، كما
أشرنا، لأنها لا تعمل في "لم" كما لا تعمل في الماضي؛
فمعنى (إن لم تفعلوا) هو: إن تركتم الفعل (130).

2 - ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
(131).

3 - ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ (132).

4 - ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾
(133).

(7) وقوع «إن» جواباً «لإن»

اجتماع شرطين

كان ورود ذلك قليلا. فمن ذلك:

1 - ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ
تَبْغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ﴾
(134).

جواب "إن" الأولى (فإن استطعت)، فالشرط الثاني جواب الأول، وجواب الشرط الثاني محذوف، كما ذكرنا، تقديره: فافعل، وحذف لظهور معناه وطول الكلام.

2 - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (136).

علقوا توكلهم على شرطين: متقدم ومتأخر، ومتى كان الشرطان لا يترتبان في الوجود، فالشرط الثاني شرط في الأول؛ فمن حيث هو شرط فيه، يجب أن يكون متقدماً عليه، وإذا حصل هذان الشرطان، وهما الإيمان والإسلام، فوض المرء جميع أمره إلى الله. وأدخل "إن" على فعلي الشرط، وإن كانت في الأغلب إنما تدخل على غير المحقق مع علمه بإيمانهم، على وجه إقامة الحجة والإثارة، كما سيأتي (137).

3 - ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ (138).

حكم الشرط إذا دخل على الشرط أن يكون الثاني والجواب جواباً للشرط الأول، كما مر، كقولك: إن أتيتني، إن كلمتني أكرمك؛ فقولك: إن كلمتني أكرمك، جواب إن أتيتني، وإذا كان كذلك صار الشرط الأول في الذكر مؤخراً في المعنى، حتى لو أتاه ثم كلمه، لم يجب الإكرام، ولكن إن كلمه ثم أتاه، وجب إكرامه، وعلة ذلك أن الجواب صار معوقاً بالشرط الثاني (139).

4 - ﴿وَأَمْرَأَةٌ مُّؤْمِنَةٌ إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِن أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ (140).

ههنا شرطان: فشرط الإحلال هبتها نفسها، وشرط الهبة

إرادة استنكاح النبي. والمعنى: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها، وأنت تريد أن تستنكحها، لأن إرادته هي قبول الهبة، وما به تتم. وهو شبيه ما ورد في الآية السابقة. فإذا اجتمع شرطان، فالثاني شرط في الأول، متأخر في اللفظ، متقدم في الوقوع ما لم تدل قرينة على الترتيب، نحو: إن تزوجتك، أو طلقتك فعبدي حراً. واجتماع الشرطين مسألة فيها خلاف (141).

(8) وقوع "إذا" في جواب "إن"

1 - ﴿فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾ (142).

فجواب الشرط الأول لا يلزم أن يقارنه ولا أن يعتقبه، بل يجوز أن يتأخر، نحو: إن أسلمت دخلت الجنة، وإنما يقتضي مطلق الترتيب.

وأما جواب الشرط الثاني فجاء "إذا" الفجائية، وأنه إذا لم يُعطوا فاجأ سخطهم، ولم يمكن تأخره لما جُلبوا عليه من محبة الدنيا والشره في تحصيلها (143).

2 - ﴿وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ مِّمَّا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (144).

- "إذا هم" جواب "وإن لم يُعطوا" و"وإن تُصِيبَهُمْ" يقوم مقام الفاء في الجملة الاسمية الواقعة جواباً بالشرط (145).

(9) سبق "إن" "بأما" الشرطية

إذا اجتمع شرطان كان الجواب للسابق منهما، وجواب الثاني محذوف، ولذلك كان فعل الشرط ماضي اللفظ أو مصحوباً "بلم" وأغنى عنه جواب "أما" (146)، في مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ (147).

(10) توسط الشرط بين كلام

وتوسط كلام بين الشرط والجزاء

1 - قد يتوسط الشرط بين "إن" وما عملت فيه، ويكون خبر "إن" هو جواب الشرط في المعنى؛ ويقع بعده في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ (148).

فالشرط هنا هو (شاء) في موضع جزم، وجوابه، عند سيويه، "إن" وما عملت فيه، والذي جوز ذلك توسط الشرط، وتقدير الكلام: إن شاء الله هدايتنا اهتدينا، والمفعول محذوف، وهو (هدايتنا)، أو: إنا لمهتدون إن شاء الله؛ وقدم الشرط على ذكر الاهتداء اهتماماً به، وليحصل توافق رءوس الآي.

وقال المبرد: الجواب محذوف دلت عليه الجملة، لأن الشرط معترض، فالنية به التأخير، فيصير كقولك: أنت ظالم إن فعلت. وهو محذوف أيضاً عند أبي حيان (149).

2 - ومن توسط الشرط قوله تعالى: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ (150).

فجواب الشرط الذي هو (إن كتب عليكم القتال) محذوف للدلالة عليه، وتوسط الشرط بين أجزاء الدليل على حذفه (151)، كما توسط في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

3 - ومما توسط فيه كلام بين الشرط وجزائه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ (152).

فبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليها المعنى، والتقدير: فإما ترين من البشر أحداً وسألك، أو حاورك الكلام، فقولي.

4 - ومن توسط الكلام المذكور بين الشرط والجزاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِحَنَّ إِن كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّيْتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأُسْرِحْكُمْ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ (153).

(فتعالين) جملة معترضة بين الشرط وجزائه، ولا يضير دخول الفاء على جملة الاعتراض، كما في قول الشاعر:
واعلم - فعلم المرء ينفعه -

أن سوف يأتي كل ما قدرا (154)
5 - ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (155).

(11) نيابة الاستفهام عن جواب الشرط

قد يحذف جواب الشرط مع الاستفهام، وينوب هذا عنه ويدل عليه في مثل:

1 - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (156).

فجواب الشرط ما دلّ عليه الاستفهام في قوله (أغير الله)، وتقديره: إن أتاكم الساعة دعوتكم الله (157).

2 - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ (158).

الاستفهام هنا بمعنى التقرير، فلذلك ناب عن جواب الشرط، والتقدير: إن أتاكم هلكتم (159).

3 - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتاً أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَغْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (160).

فجواب الشرط محذوف، وليس هو (ماذا يستعجل منه المجرمون)، لأن جواب الشرط إذا كان استفهاماً فلا بد فيه من الفاء، تقول: إن زارني فلان فأني رجل هو؟ ولا يجوز حذفها إلا في ضرورة (161).

4 - ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ (162).

فالجواب في هذا الاستخبار محذوف، والتقدير: فإنهم سيقولون لا تقدر على شيء من ذلك (163).

5 - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (164).

الجواب محذوف. تقديره: فقد ضللتهم، ولذلك جاء فعل الشرط ماضياً (165).

وقد جاءت (أرأيت) في هذه الآيات بمعنى (أخبرني). وقد اختار أبو حيان في الآيات (1-3) وأمثالها أن يكون الفعل (أرأيت) قد تنازع العمل مع فعل الشرط، وأعمل فعل الشرط، وجملة الاستفهام هي المفعول الثاني (لأرأيت)، وجواب الشرط محذوف، كما بينا (166).

كما يرى أنه قد حذف جواب الشرط وذكر المفعولان في [4]، وحذف جواب الشرط والمفعول الأول (لأرأيت) في [5] (167).

(12) "إن" المدغمة في "لا" و"ما"

وردت "إن" مدغمة في "لا" في خمسة مواضع من القرآن الكريم، لم تخرج فيها عن عمل الجزم، ولم تستقل بحكم ما عن أحكامها العامة، وهذه الآيات هي:

1 - ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (168).

2 - ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (169).

3 - ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (170).

4 - ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (171).

5 - ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (172).

أما مع "ما" فقد جاءت مدغمة [16] ست عشرة مرة، موزعة بين [13] ثلاث عشرة سورة، بغرض زيادة تأكيد الكلام، وقع الخلاف بين النحاة في النون التي تدخل على الفعل بعدها، والميم التي تليها، أما أحكام الشرط معها فلم يطرأ عليها تغيير يذكر.

1 - ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا تَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (173).

لقد وليها هنا شرط، فالشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول. وهو مثل قولهم: إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك (174).

2 - ذكرنا أنه قد يحذف كلام بين الشرط والجزاء لدلالة المعنى عليه، في مثل قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي﴾ (175)، تحت عنوان (توسط كلام بين الشرط والجزاء)، فيمكن الرجوع إليه.

3 - قد يحذف جواب "إمّا" لدلالة المعنى عليه، في مثل قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِعُضِّ الَّذِي نَعِدُّهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ (176).

والتقدير: فيقرر عينك، ولا يصح أن يكون (فإلينا يرجعون) جواباً، للمعطوف عليه والمعطوف (177).

4 - ذهب ابن عطية إلى أنه يلزمها النون الثقيلة في الأغلب: وقد لا تلزم، كقول الشاعر:

إِمَّا يُصِيبُكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَاةٍ

إلا أن أبا حيان قال: هذه مسألة فيها خلاف: ذهب بعض النحويين أنها إذا زيدت بعد "إن" "ما" لزمّت نون التوكيد، ولا يجوز حذفها إلا في ضرورة، في مثل قوله

تعالى: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (178).

وذهب بعضهم أنها لا تلزم، وأنه يجوز في الكلام، وتقييده الثقيلة ليس بجيد، بل الصواب النون المؤكدة، سواء كانت ثقيلة أم خفيفة، وكأنه نظر إلى مواردنا في القرآن، وكونها لم تجئ فيها بعد "إما" إلا الثقيلة (179).

وقال الزمخشري: إذا أفردت "إن" لا يصح دخول النون المؤكدة في الفعل، فلا تقول: إن تكرم من زيدا يكرمك، ولكن إما تكرمته (180).

5 - إذا جاءت "من" بعدها في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا آدَمُ إِنَّا يُأْتِيَنَّكَ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكَ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (181)، فتحتمل وجهين:

(أ) أن تكون شرطية، وجوابها (فلا خوف عليهم)، وتكون هذه الجملة الشرطية مستقلة بجواب الشرط الأول من جهة اللفظ.

(ب) أن تكون موصولة، فتكون هذه الجملة والتي بعدها من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (182) مجموعهما هو جواب الشرط.

فعلى هذا، الغرض منها التقسيم، وجعل القسمين جواباً للشرط، أي: إما يأتينكم، فالمتقون لا خوف عليهم، والمكذبون أصحاب النار، إذ هذا كله ثمرة إتيان الرسل وفائدته (183).

إلا أن ابن خروف قال: أجاز سيويه الإتيان "بما" وأن لا يؤتى بها، والإتيان بالنون مع "ما" وأن لا يؤتى بها (184)، فقال: إن شئت لم تقحم النون، كما أنك إن

شئت لم تجيء "بما"، يعني مع النون وعدمها (185).

(13) بعض آيات اختلف في معنى «إن» فيها

اختلف النحاة حول بعض آيات بين الشرطية وغيرها، وإن كان جانب الشرطية يترجح فيها أو في بعضها، ومن هذه الآيات:

1 - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (186).

قيل: إنها شرطية، وقيل: هي بمعنى "إذا"، وقيل: بمعنى "إذا"، والراجح أنها شرطية (187)، و(كان) معها ليست ماضية المعنى واللفظ، كما مر، لأن "إن" لا تدخل على فعل ماضٍ في المعنى، إلا على كان لكثرة استعمالها، وأنها لا تدل على حدث، ولم تخلصه "إن" للاستقبال، وإن كان الريب وقعوا فيه حقيقة، كما زعموا، بل أخرج هذا الشرط في صورة المستقبل، أي هو مما يعرض وقوعه، وإن كان لا يمكن وجوده (188).

2 - ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (189).

قيل: إنها جاءت في موضع "إذا"، وذلك كما يقول القائل: إن غلبتك لم أبق عليك، وهو يعلم أنه غالب، وذلك على سبيل التهكم، أو أنه أتى "بأن" على حسب ظنهم (190).

3 - ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (191).

قيل: إنها نافية، أي: ما كنتم مؤمنين، لأن الإيمان لا يجامع قتل الأنبياء. والأظهر أنها شرطية، والجواب محذوف، تقديره: فلم فعلتم ذلك؟ (192).

4 - ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ

بَكْفَرِهِمْ قُلْ بِنَفْسِنَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٣﴾

قيل: إنها نافية. وقيل: شرطية، وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله.

٥ - ﴿وَلَنْ أَتَّبِعَ الَّذِينَ أَلْفَتْهُمُ أَهْوَاءُ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩٤).

قال القراء والأخفش: "إِنْ" هنا بمعنى "لو"، فلذلك كانت "ما" في الجواب، فخالفه سيبويه، كما استبعده العكبري، لأن "إِنْ" للمستقبل، و"لو" للماضي (١٩٥).

٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (١٩٦).

قيل: إنها بمعنى "إِذَا"، وهو قول كوفي، وضعفه أبو حيان، وقال: إنه شرط، الغرض منه التثبيت وحرز النفوس (١٩٧).

٧ - ﴿وَلَا يَجْلُ لِهِنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (١٩٨).

قيل: إنها بمعنى "إِذَا"، وهو ضعيف (١٩٩)، كما لا يخفى. ٨ - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠٠).

قيل: إنها بمعنى "إِذَا" (٢٠١).

٩ - ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠٢).

قيل: إنها بمعنى "إِذَا". قال ابن عطية: وهذا مردود، لا يعرف في اللغة (٢٠٣).

١٠ - ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠٤).

قيل: هي بمعنى "إِذَا". وقيل: هي باقية على

شرطيتها (٢٠٥).

١١ - ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٠٦).

قيل: هي بمعنى "إِذَا"، أي: إذا كنتم عقلاء (٢٠٧).

١٢ - ﴿وَإِنْ حَفِظْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ (٢٠٨).

قيل: هي بمعنى "إِذَا"، وهو قول مرغوب عنه (٢٠٩).

١٣ - ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (٢١٠).

قيل: إنها نافية.

١٤ - ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (٢١١).

قيل: هي نافية؛ أي: ما كنت تقيا بدخولك عليّ ونظرك إليّ (٢١٢).

١٥ - ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ أَتَّخِذْنَاهُمْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٢١٣).

قيل: هي بمعنى "لو"، وقيل: بمعنى "ما". أي ما كنا فاعلين، مثل: (إن أنت إلا نذير)، أي: ما أنت إلا نذير. و"إِنْ" بمعنى الجحد، وتم الكلام عند قوله: (لا تخذناه من لدنا). وقيل: إنه على معنى الشرط، أي: إن كنا فاعلين ذلك، ولكننا لسنا بفاعلين ذلك، لاستحالة أن يكون لنا ولد (٢١٤).

١٦ - ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (٢١٥).

قيل: هي "إِنْ" النافية، أي: ما كان للرحمن ولد، فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحده (٢١٦).

١٧ - ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ (٢١٧).

قيل: إنها زائدة، أي: في الذي مكناكم (٢١٨).

18 - ﴿فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَ الذِّكْرِ﴾ (219).

قيل: "إن" بمعنى "إذ"، كقوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. أي: إذ كنتم. لأنه لم يخبر بكونهم الأعْلَوْنَ إلا بعد إيمانهم (220). وقيل: هي بمعنى "قد" في هذه الآية والتي قبلها، أي: (فذكر قد نفعت، وقد مكناكم) (221).

أغراض "إن" الشرطية البلاغية

لقد استعرضنا بعض نماذج "إن" الشرطية النحوية القرآنية، ووقفنا على الحالات والأوضاع المختلفة التي جاءت فيها، ولم تكن هذه الصيغ إلا لتقدم غرضا بلاغيا رائعا، تتناسب عظمته وروعته وعظمة القائل.

إن المتبوع لهذه الأغراض البلاغية "إن" الشرطية، واستقصاء حالات جواب الشرط المختلفة، يجد نفسه أمام درحة عظيمة، ذات كم ضخم من هذه الأغراض، إذ إن الغاية تؤخذ من جواب الشرط، لا من الشرط. وإذا قلنا: الغرض من الشرط كذا، فإننا نقصد بذلك أسلوب الشرط بصورة عامة.

لقد انقسمت المخاور التي دار حولها جواب الشرط إلى خمسة أقسام، وسنعرض للغرض البلاغي الواحد مرتبطا بهذه المخاور، لنرى أكثرها توظيفا وأوسعها انتشارا. وهذه المخاور هي:

أ - إذا كان الجواب بلفظ الأمر الصريح. أو في حيز الأمر، أو أمرا مخدوفا على رأي من لا يرى تقدمه، ويدل عليه الكلام، أو كان متقدما على الرأي الآخر.

ب - إذا كان الجواب في حيز الاستفهام.

ج - إذا كان الجواب في حيز القسم.

د - إذا كان الجواب في حيز النهي.

هـ - إذا كان الجواب عاديا خارجا عن الحالات السابقة، سواء أكان إيجابا أم نفيًا. وفيما يلي بعض النماذج لبعض الأغراض. على سبيل المثال، لا الحصر.

أ - التهكم والتعجيز

جاء جواب الشرط مع "إن" في حيز الأمر كثيرا، وأقل منه مع الاستفهام والقسم، لأداء الغرض المذكور. وفيما يلي أمثلة لذلك:

* الأمر:

- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (222).

فقد أخرج الشرط في صورة المستقبل، أي مما يعرض وقوعه، وإن كان لا يمكن وجوده. على سبيل التهكم والتعجيز ممن هم في ريب من المنزل. فالتعجيز في قوله (فأتوا)، والتهكم في (وادعوا شهداءكم). وقد جاء "بأن" في موضع "إذا" تهكما. كقول القائل: إن غلبتك لم أبق عليك. وهو يعلم أنه غالب (223).

- ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جئتَ بآيةٍ فأت بها إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (224).

فالغرض من الأمر التعجيز والاختبار في طلب فرعون، إبراز الآية، من موسى عليه السلام.

- ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (225).

فالتعجيز في (فأتوا بكتاب).

﴿فَبِإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُون﴾ (226).

* الاستفهام:

- ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿(227)﴾.

والمعنى: ما كنتم مؤمنين، لأن من قتل أنبياء الله لا يكون مؤمناً، لأن الإيمان لا يجامع قتل الأنبياء؛ أي: إن كنتم مؤمنين فلم فعلتم ذلك؟ وهو كقولك لمن بدا منه ما لا يناسبه: فعلت كذا وأنت عاقل بزعمك؟ (228) على سبيل التهكم والاستهزاء.

* القسم:

القسم هو الحلف. وسمي قسماً لأنه يكون عند انقسام الناس مابين مصدق ومكذب، فكان الحالف أو المقسم يقوي القسم الذي يختاره، ويؤكد الأمر المقسم عليه. فالغرض العام من القسم هو التوكيد الذي يحمل، أحياناً، أغراضاً بلاغية منها التهكم والتعجيز والتحدي.

﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (229).

فقد اختلفت الأساليب الفصيحة ههنا مع "إن" إلا أنها اتحدت في الغرض، وهو التهكم والتعجيز من تلك الفئة التي تشاقق الله ورسوله في كل مكان وزمان، وتبتغي إخماد صوت الحق وإطفاء نور الله.

2 - المبالغة في التهديد والوعيد

لقد كثرت أساليب الوعيد للمعاندين السادرين في غيهم الذين أخذتهم العزة بالإثم، تناشدتهم أن يتوبوا إلى رشدهم. فما جاء مع «إن» في هذا الغرض قوله تعالى:

* الأمر:

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (230).

فالغرض من الأمر الوعيد والتهديد، لأن الحرب داعية

للقتل (231). إذ لا تهديد أو وعيد أعظم من التهديد بالقتل.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (232).

فالأمر بالصبر هنا، للطائفة التي لم تؤمن، تهديد، لأن حكم الله بين الطائفتين لن يكون إلا بنجاح المؤمنة وهلاك الكافرة.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (233).

فالأمر هنا يفيد المنايضة والمواجهة المتضمنة للوعيد والتهديد.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (234).

فالأمر في قوله تعالى (فتربصوا) تهديد ووعيد ليس أشد منه، لأن الآية تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين (235). وهو مثل قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (236). فليس الأمر هنا يقصد به مطلق حرية العمل دون محاسبة، وإنما هو تهديد، كقولك لمن يعصيك: افعل ما تريد.

* القسم:

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

فيه وعيد بالإهلاك.

3 - هز النفس وحفز الهمة وحضها

من الأغراض التي حَرَصَ القرآن الكريم على إبرازها، حفز الهمة، وتحريك النفس المؤمنة، وحثها على المسارعة في فعل الخيرات، بالوسائل التعبيرية المختلفة، ومن ذلك أسلوب:

* الأمر:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (247).

ففي الأمر تثبيت من صدق العبادة وهز للنفوس، كما نقول لمن هو متحقق العبودية، إن كنت عبدي فأطعني، وهو عبدك حقاً، ليكون أدعى للطاعة وأهز لها.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (248).

فالدليل على قصد الدعوة والحض على اتباع الحق أنه ناداهم في أول الآية بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)، كما أن في الآية إشعاراً بوعيد من لم يرد الأمور إلى الله والرسول (249).

- ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (250).

فيه حث على أكل ما أحلّ، وترك ما حرّم، وعدم مخالفة أمر الله (251).

- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (252).

أي: إن كنتم كاملي الإيمان فأطيعوه، ففيه حث وحفز الهمة.

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (237).

- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (238).

فالوعيد بزيادة نعمة إلى نعمة، والوعيد بمضاعفة العذاب. - ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُصْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (239).

ففي قول امرأة العزيز تهديد وإصرار.

* خروج الشرط عن الأمر، والاستفهام، والقسم، والنهي، أي عادي، نفياً أو إيجاباً:

- ﴿وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَن يَكُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (240).

إن من اتصف بالإيمان لا يقدم على ارتكاب ما لا يحل له، وفيه إبعاد وتعظيم للكتم، وتهديد لمن فعل ذلك، وهو شبيه بقولك: إن كنت مؤمناً فلا تظلم، وأنت مؤمن فلا تظلم (241).

- ﴿فَإِن يَتُوبَا إِلَيْكَ خَيْرٌ لَّهُمَّ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (242).

ففي الشرط الأول إحسان ولطف منه تعالى بهم ووعد بالخير، وفي الثاني تهديد بتعذيبهم في حالة الديمومة على التولي (243).

- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ (244).

فيه وعيد لقريش وتسليّة للرسول صلى الله عليه وسلم. - ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (245).

فيه إنذار ووعد، ولكن برفق ولين.

- ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (246).

* القسم:

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا غَرِيبًا وَلَئِنْ أَتَيْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ
بَعْدَ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
وَاقٍ ﴾ (253).

فهو من باب الإلهاب والتهيج، والبعث للسامعين على
الثبات في الدين والتصلب فيه (254).

* النهي:

﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (255).

* أسلوب الشرط عادي:

﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (256).

ففي المعجزات التي جاء بها عيسى - عليه السلام -
قومه، تثبيت لنفوسهم وتطمين لها، وهو من باب قولك
لا يملك: أطعني إن كنت ابني، ومعلوم أنه ابنك، ولكن
تريد أن تهزه بذكر ما هو محقق، وهو النبوة، فجعلتها
معلقة على ما قبلها، وهي الطاعة، على سبيل أن
تحصل. وهذا المعنى لمن آمن من قومه، وهم الحواريون.
أما إذا كان الكلام لمن لم يؤمن منهم، ففيه توبيخ
وتقريع (257).

﴿ قَدْ يَبَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (258).

فقد علم تعالى أنهم عقلاء، لكن علقه على هذا الشرط
على سبيل الهز للنفوس، كقولك: إن كنت رجلاً فافعل
كذا (259).

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾ (260).

علق قوله تعالى: (إن كنتم مؤمنين) بالنهي، فيكون ذلك
هزاً للنفوس يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله (261).

يمكن أن يدخل هذا تحت النهي السابق. أو تحت أسلوب
الشرط العادي على تقدير: إن كنتم مؤمنين فأنتم
الأعلون، وعلى النهي يكون: إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا
ولا تحزنوا.

﴿ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ -
(262).

4 - التحدي

جاء التحدي بين معسكري الحق والباطل مسافراً بين
معسكري الحق والباطل في كثير من الآيات بأسلوب
الشرط وغيره، مع "إن" وغيرها، فمما جاء مع "إن"
في:

* الأمر:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً
مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (263).
الخطاب للذين هادوا الذين زعموا أنهم أولياء الله من
دون الناس، فتحداهم بتمني الموت، لأن من أيقن أنه من
أهل الجنة اختار أن ينتقل إليها، وفي الآية إظهار لكذبهم
(264).

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ
اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (265).

أي: إن كنتم صادقين، فادعوا من استطعتم. وقد يدخل
هذا المعنى تحت باب التعجيز والتهكم، كما مر،
فتتناوب بعض الآيات بعض الأغراض أو تتقارب.

* القسم:

﴿ قُلْ لَّيِّنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ
هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
ظَهِيرًا ﴾ (266).

فأي تحد وتعجيز أعظم من هذا؟؟

5 - النصح والإرشاد

لم يأل القرآن جهداً في توجيه النصح لكل منكر بأنواع التعبير المختلفة، من مثل:

* الأمر:

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ، وَلَنْ تَفْعَلُوا ، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (267).

لما علم أنهم عاجزون عن معارضة القرآن، وثبت عجزهم عن ذلك، نصحهم وأرشدهم، وأمرهم باتقاء النار، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله ورسوله وكتابه.

* النهي:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (268).

6 - التنبية والتحذير

دأب القرآن في دعوته على التنبية من الوقوع في المخالفات والتحذير من مغبة ذلك، بأساليبه المتجددة عن طريق:

* الاستفهام:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَذَابُهُ نِيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ؟﴾ (269)

ففيه تلميح في خطاب الرسل وتنبيه للمنكرين وتحذير، وتعجب من مواقفهم.

* القسم:

﴿وَلَيْنَ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (270).

ففيه تنبيه وتحذير المؤمنين من المنافقين الذين لا يعدون من

المنح إلا أغراض الدنيا، ولا من الخن إلا مصائبها(271).

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْتُنِي لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (272).
فيه تنبيه لقوم إبراهيم عليه السلام على أن من اتخذ القمر إلهاً فهو ضال، وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه
(273).

* النهي:

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَ غَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (274).

الذي يدل على التحذير في الآية، قوله تعالى: (إِنْ اللَّهُ كَانَ غَلِيًّا كَبِيرًا)، فيوحي بأن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم(275).

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ (276).

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (277).

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (278).

* الشرط عادي:

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ (279).

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ (280).

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (281).

ففيه إظهار القدرة التامة والغنى المطلق وعمومية الخطاب، والتحذير من بطشه تعالى(282).

7 - الاستبعاد

ثمادى أهل الكفر بالعناد ظناً منهم أنهم بمنأى عن العذاب، فعيروا عن ذلك بطرق، منها:

* الاستفهام:

– ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (283).

أي: لستم صادقين، على سبيل استبعاد العذاب أو البعث، والاستخفاف بأقوال الرسل.

* أسلوب الشرط عادي:

– ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (284).

فيه استبعاد لاستطاعتهم، كقول الرجل لعدوه: إن ظفرت بي فلا تَبْقِ عليّ، وهو واثق أنه لا يظفر به (285).

– ﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (286).

فيه استبعاد وقوع الشرط، وهو خروج الجبارين، وبالتالي استبعاد وقوع الجواب، لأنه معلق عليه، وهو الدخول، ففيه تعليق الدخول على شرط ممكن وقوعه (287).

– ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ (288).

فاستبعاد الجواب، وهو الختم، محقق، لاستبعاد الشرط، وهو الافتراء منه صلى الله عليه وسلم.

8 – خروج الشرط مخرج الممكن، وإبراز اليقين

في صورة الاحتمال، والفرض والتقدير

هناك أمور لا يمكن تحقيقها، لم يسكت القرآن عنها، بل أبرزها في صورة الممكن على سبيل الافتراض، بضروب من القول، لأغراض متباينة، بطرق، منها:

* الأمر:

– ﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا أَمْرًا قَاتِلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (289).

لقد خرج قوله تعالى: (إن كنتم صادقين)، مخرج الممكن، وهو معلوم كذبهم، وذلك على سبيل الهزء بهم،

كقولك: إن كنت شجاعاً فالقني، ومعلوم عندك أنه ليس بشجاع، ولكن هزئت به، إذ جعلت هذا الوصف مما يمكن أن يتصف به (290).

– ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (291).

أي: إن كنتم رجالاً دفاعين لأسباب الموت، فادفعوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا، فالأمر يحمل معنى السخرية والاستهزاء، إذ لا يمكن لأحد أن يدفع الموت.

– ومما برز فيه الشرط في صفة إمكان وقوعه، وإن كان واقعا، ولكن ليس للهزء والسخرية:

﴿وَإِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (292).

فوصف الإيمان يناسب ألا يخاف المؤمن إلا الله، فأبرز هذا الشرط في صفة الإمكان، وإن كان واقعا، إذ هم متصفون بالإيمان، كما تقول: إن كنت رجلاً فافعل كذا، ومعلوم أنه رجل (293). ومثل هذا في القرآن كثير. كما يمكن إدراج هذه الآية تحت أسلوب النهي، على تقدير: (إن كنتم مؤمنين فلا تخافوهم).

– ﴿فَإِنَّمَا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ (294).

ففيه سخرية من هود، عليه السلام، ودعوته.

* الاستفهام:

– ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (295).

فقد أبرز الشرط اليقين الذي لاشك فيه، وهو كون القرآن من عند الله، في صورة الاحتمال، وهو من عند الله بلا شك (296).

* القسم:

- ﴿وَلَيْنَ رُدِّدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾
(297).

أي: لو فرض وقدر له البعث والرجعة، أو على معنى الاستحقاق والاستئصال (298).

- ﴿وَلَقَدْ أَرْجَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
(299).

المحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال؟ وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ (300). ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه (301).

* عادية أسلوب الشرط:

- ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا﴾ (302).

أي: لو قدر أنها تملك الفدية يوم القيامة لن تقبل منها.

- ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾
(303).

ففي الآية فرض لا يمكن وقوعه، وهو افتراء القرآن أو الوحي على الله، بل هو مستحيل.

٥ - التوبيخ، والذم، والتحقير

كثيراً ما ينعي القرآن على الذين يلجئون في طغيانهم ويمعنون في باطلهم، ينعي عليهم مواقفهم، مجادلاً أن يردهم بالحكمة والموعظة الحسنة، بأساليب فصيحة، طائفاً عرفوها، فإن لم يُجد ذلك معهم، خاطبهم بما يتفق والمقام، ولكن بلطف وأدب، أيضاً، ومن هذه الأساليب:

* الأمر:

- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (304).

أي: سترون أيها المتولون عاقبة توليكم، فالغرض من الأمر التوبيخ والتهديد (305).

- ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ (306).

فالمعنى على استبعاد انتفاع طغاة قريش بالذكرى، كقول الشاعر:

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا

وَلَكِنْ لَأَحْيَا لِمَنْ تُنَادِي

وهو كقولك أيضاً: قل لفلان وأعد له إن سمعك، فقوله:

(إن سمعك) إنما هو توبيخ وإعلام أنه لن يسمع (307).

وقد يكون من باب الاستبعاد كما مر.

* القسم:

- ﴿وَلَيْنَ أُرْسِلْنَا رِجَالًا مَرْثُومًا لَطَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ (308).

ذمهم لأنهم لم يتوكلوا على الله وفضله ففطنوا وكفروا (309).

* الشرط عادي:

- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (310).

ففي الخطاب تحقير لشأن المخاطبين وتعظيم لشأن الله تعالى.

10 - الإنكار، والاستعجال، والسخرية

من طبيعة النفس البشرية التي لم يلامس الإيمان شغاف قلبها، أن تتنح، أحياناً، إلى إنكار الحق ومعارضته، والتمادي فيه، فلا بد، والحالة هذه، من مواجهتها بأسلوب يهزها لتثوب إلى رشدها، وقد يجيء الإنكار على صورة:

* الأمر:

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (311).

ففي أسلوب الشرط مبالغة في إنكار الحق عظيمة.

﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (312).

إنهم ينكرون على نبيهم هود - عليه السلام - دعوته، فهم إما يسخرون، وإما يستعجلون العذاب، لاعتقادهم أنه غير صادق.

* القسم:

﴿ وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (313).

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجْهِسُونَ ﴾ (314).

ففي الآية الأولى إنكار، وفي الثانية إنكار مع استعجال على وجه التكذيب والاستهزاء (315).

II - التخيير، والإباحة، والتلطف في الاستدعاء

لم يحجر الشارع على العباد ويحصرهم في دائرة ضيقة، بل ترك لهم حرية الاختيار في المباحات، ودعاهم إلى وجود البر، بتلطف وعطف، بألفاظ منها:

* الأمر:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (316).

جاء الشرط، هنا، للتخيير بين شيئين للإشعار بالمساواة بينهما، والتلطف والعطف على المحاطين وذوي الشأن

من المكلفين، والتعطف على النساء والنظر لهن، وجاء التخيير مشعراً بالمساواة بينهما في الحكمة المطلوبة من سكون النفس بالازدواج وتحصين الدين، وكل ذلك حاصل بالطريقين (317).

﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ (318).

فجواب الشرط (فكلوه) مؤذن بالإباحة بالانتفاع بهذا الشيء، وإن كان بلفظ الأمر.

﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ ﴾ (319).

ففي لفظ القرض تلطف في الاستدعاء، وفي لفظ المضاعفة تأكيد للبذل لوجه الله تعالى (320).

12 - الحرص على طلب الاستدامة والكمال، أو

على أمر ما، أو سلوك معين

يحرص الإسلام على تربية أتباعه بخثهم على نشدان الكمال، والتمسك بما يقودهم إلى شاطئ النجاة، متوسلاً إليهم بشتى الطرق، مثل:

* الأمر:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (321).

فالغرض من الأمر بترك الربا الاستدامة والكمال، وكأن الإيمان لا يتكامل إذا أصر الإنسان على كبيرة، وإنما يصير مؤمناً بالإطلاق إذا اجتنبت الكبائر (322).

* القسم:

﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (323).

﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ إِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (324).